استبيان خاصّ بـ الآداب:
سوريا بين معارضٍ وموالٍ

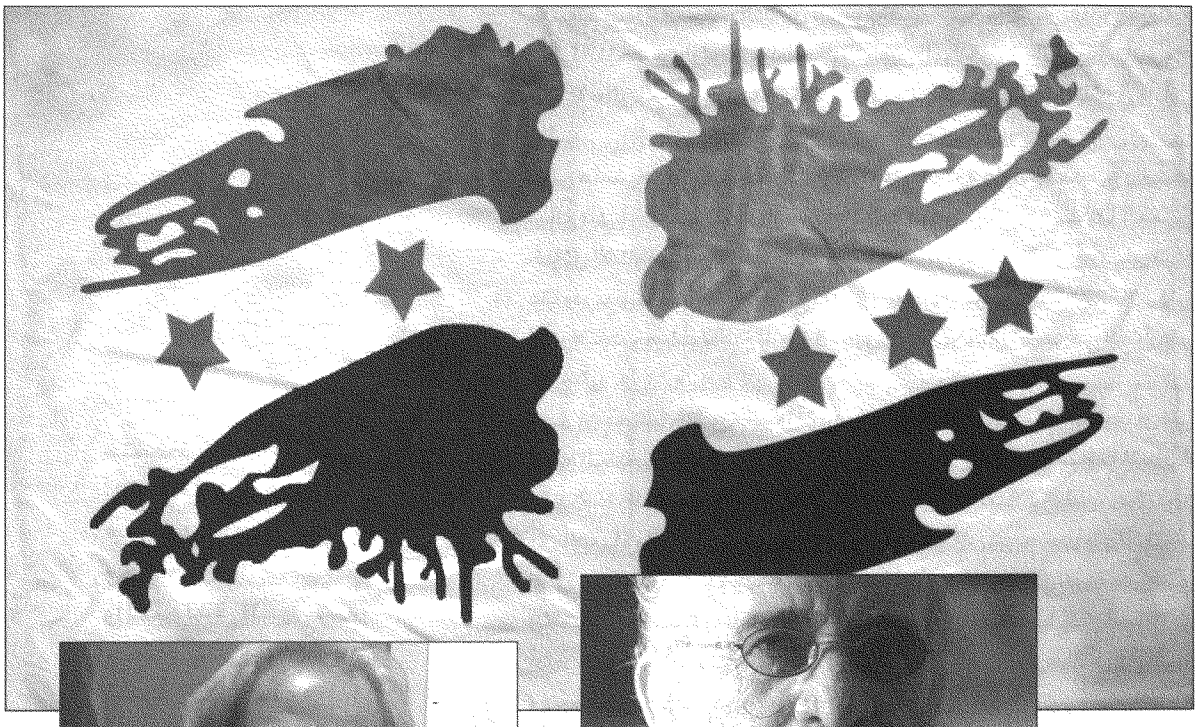

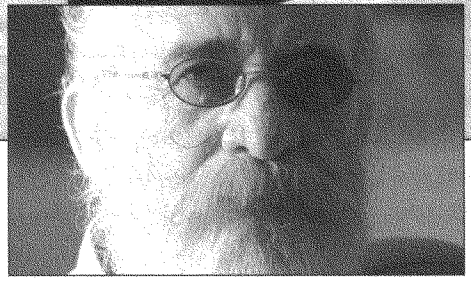

منير الشعراني

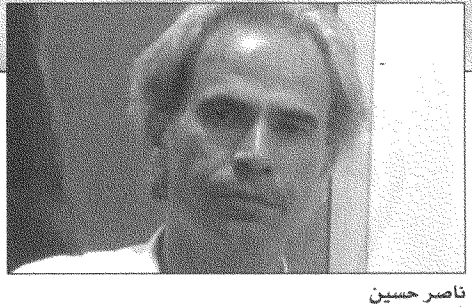

ناصر حسين

بدرخان علي

رشا عمران

تنقسم سوريا بحدّةٍ بين معارضٍ وموالٍ، وتكاد تصبح بلدين أو أكثر. السياسيون يملؤون الفضاءَ بتحليلاتهم لما يجري، وما يجب وما لا يجب. لذلك اتجهنا إلى مجموعةٍ مثقّفين من مشاربَ مختلفةٍ لسؤالهم عمّا يجري، وما يتوقّعونه، وما يمكنُ أن يكون إسهامُهم من أجلِ سوريا أفضل.

الآداب

بدرخان علي
كاتب سوري

مـا يجري فـي سوريا ثـورةٌ شعبيّـةٌ وطنيّةٌ: ثـورةٌ بـإرادة المقاومـة والكفاح المتواصلة رغـم العنف المهول والخسارات الهائلة؛ وشعبيّـةٌ لأنّها تعكس إلى حدٍّ بعيدٍ صورةَ المجتمع السوريّ المتنوّع وفئاته الشعبيّة بشكلٍ خاصّ؛ ووطنيّةٌ لأنّهـا اندلعتْ من إرادة المواطنيـن التوّاقين إلى الكرامة والحريّة، بتأثيرٍ من موجـة «الربيع العربيّ،» بعد عقودٍ من الإذلال على يد نظامٍ ديكتاتوريّ وأنانيّ وفاسد.

علـى هامش هذه الثورة يمكن أن تقال أشياءُ كثيـرة ، بعضها صحيحٌ وبعضُها مبالغٌ فيهـا. بعضُها تتحمّل السلطةُ القائمة مسؤوليّتها جرّاء سلوكها الوحشيّ خـلال الانتفاضـة، وبعضُها نتائجُ قمع مديـد تعرّض لـه السوريّون على مدى عقـود. بعضها لعوامـلَ إقليميّـة، وأخرى لعوامـلَ دوليّة. ويمكـن الكلام على اختراقـاتٍ حصلتْ لطابع الثورة الشعبيّ الوطنيّ، لكنّها ليست هي المتنَ على أيّة حال.

غيـر أنَّ مستقبل الثـورة السوريّة لن يكونَ كما كان يُتوقَّع فـي البداية، أو على حجم التضحيات العظيمة التي بُذِلَتْ، للأسف. إذ إنَّ السلطةَ القائمة تتساقط بالتدريـج، المكلـفِ والمدمِّر، لكنّهـا ستَسْقط على أشـلاءِ الناس، وفوق بحرٍ من الدمـاء والدمار، وستحـوّل المجتمعَ والدولةَ إلى شبـهِ حطام، ولن تتركَ لنـا نشوةَ الفـرح بسقوطها المرتقب. لقد تحوّلت الثـورة إلى حربٍ بكلّ معنى الكلمـة. وللتوضيح، فأنا لا أراهـا حربًا طائفيّةً أو أهليّةً كمـا يُقال أحيانًا؛ بل أراهـا حربًا بين سلطةٍ عسكريّةٍ ـ أمنيّةٍ ـ عائليّةٍ (هي الطرف الأقوى بكثير) مدجّجةٍ بترسانةٍ عسكريّةٍ قويّة ودعمٍ روسيٍّ إيرانيٍّ معلن؛ وبين مجتمع الثورة الـذي دُفع إلى مواجهةٍ كبيرةٍ ودامية. إنّها حربُ إلغـاءٍ وإفناء، يصعب إيجادُ حلـولٍ وسطى لها، بتواطؤ جميع الدول تقريبًا، من حلفاء النظام وداعميه إلى «أصدقاء الشعب السوريّ»!

ستسقط السلطةُ على أشلاء الناس، وفوق بحرٍ من الدماء والدمار، وستحوّل المجتمعَ والدولةَ إلى شبهِ حطام، ولن تتركَ لنا نشوةَ الفرح بسقوطها المرتقب.

لقـد أرادهـا النظـامُ حربًا منـذ البدايـة، وزجَّ بالجيش باكرًا فـي مواجهة الاحتجاجات السلميّة في درعا وحماه وحمص وغيرها، في محاولةٍ لاستئصال الحركـة الاحتجاجيّة من جذورها. فيما بعد، برز عنفٌ مضادٌّ من قبل جمهور الثورة، دفاعيٌّ على الأغلب، هو العنف الملازم لكلّ ثورةٍ جذريّةٍ من نمط الثورة السوريّـة في مواجهة نظامٍ «جذريٍّ» أساسًا، وذلك بعد تزايد أعداد الضحايا وبروز ظاهرة المنشقّين عن الجيش وانضمام السكّان المدنيّين إلى المقاومة المسلّحـة. وتعاظمت هـذه الأخيرة حتى طغـت على الحـراك السلميّ، الذي بـات يصعب الكلام عليه فـي أجواء الحرب القائمة وفـي المناطق الخاضعة لسيطرة السلطةِ تحديدًا.

وعطفًـا علـى سؤالكم عـن دورٍ للمثقّفين فـي مستقبل سورية وفـي ما يعنيني تحديـدًا، أقول: إنّني، وبـكلّ ألم وحسرة، إذ أشاهدُ بلـدي يُدمَّر وشعبي يُقتَل والفقراء يتضوّرون جوعًا ومئات الألوف من المهجّرين والمشرّدين في أصقاع العالـم، لا أرى أفقًـا لإنقاذ البلد وأهله (وما تبقّى منـه ومنهم). الكلام على مؤتمـراتٍ لـ«أصدقاء سورية» و«حكومـاتٍ انتقاليّةٍ تمثل جميـع فئاتِ الشعب» و«إعـادة إعمـار» البلد، ومشاريـع «اليوم التالي» لسقوطِ النظـام .... لا يغيّر شيئًا من تشاؤمي و إحباطي.

ناصر حسين
فنّان تشكيليّ سوريّ

لم يبذل النظـامُ السوريّ وأنصاره أيَّ جهدٍ بابتـكار شعارهم الجديد «الأسد أو نحـرق البلـد.» وهذا أمرٌ غير مستغـربٍ من نظـام أراد أن يقنعنا بالحذاء أنـه يملكُ فكرًا خالدًا ورئيسًا خالـدًا ورعايا خدمًا له. فما يحدث في سورية الآن، بعـد أكثـر من أربعين عامًا مـن العذاب، وعام وأشهـرٍ سبعةٍ من عذابٍ آخـر، أنّ النظام مازال يرسّخ فكرته التي وُلِـدَ معها: «القتل من أجل البقاء.» المستغرب أن يلبّيَ بذلك رغبةً للسوريّين (رعاياه)، حين رفعوا شعار: «الموت ولا المذلّة!»

لكـنْ تجب الإشارةُ إلى بـروز تشكيلٍ من المعارضة ابتكر شعـارًا بديلاً، لكنه بالمضمـون نفسـه: «رحيـل الأسـد أو نحرق البلـد.» وانوجدتْ آلـة إعلاميّة، غربيّـة وعربيّة، ابتكرتْ «شكلاً» لهذا التشكيل، وعملتْ على توريمه إعلاميًّا، لينتهـي إلـى ابتلاع أغلب أشـكال الحراك السـوريّ. ولأنّ الجسـم الأخلاقيّ للنظـام «لبّيس،» فـإنّ هذه الفضائيّـات، والمعارضةَ الملحقةَ بهـا، لم تبذلْ جهدًا كبيرًا لابتـكار أحداث لم تحصلْ، أضيفت إلى رصيد النظام الإجراميّ الحقيقـيّ، لجرّه إلى مستنقـع الوحل الممزوج بالـدم. كان همُّ هذا الصنف، منـذ الأيّام الأولى، استجداءَ التدخّـل الخارجيّ بكلّ أشكاله. وتمَّ التعويلُ على العامـل الخارجـيِّ لحسم الأمـور، من دون الإيمـان بقدرة الشعـب بعيدًا عن الأجنـدات الخارجيّة وموازينِ القوى الإقليميّـة والعالميّة. وهذا ما أسفر عن القيـام بخطوات متسرّعـةٍ وغير محسوبـةِ النتائج، مع دخـول البلد منعطفَ التسلّـح منذ الأشهـر الأولى، وتحديدًا منـذ أحداث جسر الشغـور (وهذا ما تنكره المعارضة!)، وبشعارٍ موازٍ لشعار النظام «إغلاق أو إحراق» (أي تنفيذ الإضـراب العـامّ بالقوة)، وصولًا إلى الشكل الأخيـر، وأعني «الجيش الحرّ،» الـذي سيصبـح مصدرًا جديـدًا للعنف في سوريـا! ومع التواطـؤ على دخول جهاديّيـن من بلادٍ مختلفةٍ لإقامة دولةِ الخلافة «في بلد التنوّع» ـ من دون أن يلقى هذا أيَّ استنكارٍ من المعارضة اليساريّة إذ لم يصدر أيُّ بيانٍ منها يدين الـدولَ التي تسهّـل دخولهم ـ أصبح السوريُّ بين حريقيـن ورأيين: موالٍ يرى الحكايـة كلّها مؤامـرةً وضربًا لدور سورية الممانـع؛ ومعارضٍ يقوم بثورةٍ من أجل الحريّة والعدالة والكرامة. أما الأقليّات فلاذت بالصمت، تعزّزه تسمياتٌ كتائب «الجيش الحرّ» المذهبيّة، لتسير الأمور نحو الاقتتال اليوميِّ الدامي.

سوريـا اليـوم في النار، فقـط لأنَّ حمَلةَ السلاح لا يعرفـون إذا كانوا يدافعون عـن وطنٍ أم مزرعةٍ، ولا يعرفون الخصـوم: أأخوة لهم أمْ أعداء! إنّ استمرار العنف الذي قد يأخذ البلد إلى حربٍ أهليّةٍ شاملةٍ تعمل عليها أطرافٌ عربيّة وإقليميّـة عديدة ربّما، وانهيارَ المؤسّسات، وتدميرَ ما تبقّى من بنًى تحتيّةٍ في بلدٍ منكوبٍ اقتصاديًّا، كلّ هذا يستدعي دعم أيّ مبادرةٍ تلبّي حقوق السوريّين في الحريّة والحياة الكريمة واستقلالِ سورية من سطوة العائلات الخالدة... مـع الأخذ في الاعتبـار السيادة الوطنيّة، وضرورة الحفـاظ على ما تبقّى من الدولـة. وعلينا جميعًـا، أولاد هذا البلـد، أن نؤكّدَ حقّنا فـي المواطنة. وعلى الفنـان أو المثقّـف العودة إلـى ممارسة فعلـه الاجتماعيّ السياسـيّ كسلطةٍ أخلاقيّةٍ نقديّةٍ تشدّد على مفهوم البناء والتطوّر، بعيدًا عن المسارات الخادعة التي تفرضها السياسة.

تجب الإشـارةُ إلـى بروز تشكيلٍ مـن المعارضة ابـتـكـر شـعـارًا بـديـلاً، لكنه بالمضمون نفسه: «رحيـل الأسـد أو نحرق البلد.»

إنانا بركات
كاتبة سوريّة

طبّـق النظـامُ ومؤيّدوه شعار «الأسد أو نحرق البلـد» تطبيقًا فعليًّا قبل كتابته على الجدران. ونفّذت المعارضةُ شعارَ «نحرق البلد ولا يبقى الأسد» من دون أن تكتبـه علـى الجدران إلـى الآن. ثمّة اتفاقٌ على أنّ مرحلـة ما قبل الحراك كانـت محكومةً بعلاقة اضطهادٍ وتسلّـطٍ ولّدتْ إحساسًـا بالعدوانيّة، اتّجهتْ أولًا نحـو الـذات (المواطن). وبقيتْ هذه الحالة في طـور السكون، جرّاء نوعٍ من التماهي بشخص المتسلّط، كآليّةٍ دفاعيّةٍ لاشعوريّةٍ، رفضًا لحالة الضعف علـى المواجهة. وعندما اشتدَّ الضغـطُ تسلّل هذا العنف بقوّة من الداخل إلى الخـارج، نحو شخص المتسلّـط، وذلك عبر سلوكيّاتٍ تتحـدّى القانونَ الذي لـم ينصفه يومًـا، وعبر بعض الشعارات الغاضبـة التي جـاءت ردَّ فعلٍ على ممارسات النظام. هنا بدأ النظامُ يُظهر شعاراته الضمنيّة القديمة إلى العلن لكـي يُثبـتَ كلَّ يوم أنه جـادٌّ بإحراق البلد مـن أجل البقاء. ومـع تزايدِ القتل والتهجيـر، اتخذتْ فئاتٌ معارضةٌ قرارًا بمواجهـة العنف بالعنف، مستخدمةً أدوات النظام نفسها.

بعد سنة وسبعة أشهر، لم يعد اصطفافُ الشعب السـوريّ بيـن مـوالٍ ومعـارض. فهنـاك فئةٌ ثالثةٌ، معارضةٌ للنظام ولكنّها ليست مواليةً للمعارضة التي تتبنّى العنف، وكان خيارها هو الحـراك السلمـيّ منذ البداية.

بعد سنة وسبعة أشهر، لم يعد اصطفافُ الشعب السوريّ بين موالٍ ومعارض. فهناك فئةٌ ثالثةٌ، معارضـةٌ للنظام ولكنّها ليست مواليةً للمعارضة التي تتبنّى العنف، وكان خيارها هو الحراك السلميّ منذ البداية. بيْد أنّ انشغال بعضهم بتصنيف الآخرين وتقييمهم أدّى إلى زيادة الانقسام بين فئات المجتمع. وهنا لا يمكننا إغفالُ بعض العوامل التي ساهمتْ في تأزيم المشهد:

أولاً: موقـف قطـر والسعودية ودعمهما الحـركات الإسلاميّـة والجهاديّة في المنطقة، ولاسيّما في سوريا.

ثانيًا: عدم موضوعيّة الإعلام في نقل الصورة واضحةً وكاملةً.

ثالثًـا: مثابرة بعض أطراف المعارضة على تقويض الدور السلميّ، وعلى دعم التسلّـح وتبنّي الفكر المتطـرّف. والأسوأ هو قيامها بحملات تخوينٍ؛ وهذا ما يدعـى «بميتافيزيقيا الواحد،» وهي سياسة قائمة على الرأي الواحد، وتحاكي سياسةَ النظام، الذي يتحمّل تبعات كلّ ما يحدث نتيجةً لعنفه واستبداده.

هنا يكمن دور الأشخاص الأكثر قدرةً على فهم الواقع. ولا أعني بذلك المثقفين فقط، بل أعني أيضًا رجالَ الدين المتنوّرين وأصحابَ الوعي الوطنيّ من عامّة الشعب، وذلك برفضـ السكوت عن الخطإ وتجنّبِ الاصطفاف الأعمى. فلكي تستقيـمَ الثورة فإنّها بحاجةٍ إلى «النخَب» صمامَ أمانٍ، ولاسيّما تلك التي ترى أنّ على الأمور في سوريا أن تذهب باتجاه الحلّ السياسيّ. لقد عرّف الإغريقُ السياسـة بأنها «إخراج الحربِ مـن المدينة» ومن هنا يجبُ أن تكون صيرورة هذا الحراك سلميّة.

لا أحد يستطيع إيقافَ سيرورة الثورة. لكن يبدو أننا في حاجة إلى وقتٍ أطولَ لكي ينضج صانعو الثورة سياسيًّا. ولا بدّ من ضابطٍ أخلاقيٍّ يحمي الثورة التي كانـت في بدايتها من أرقى الثـورات. علينا أن نؤمن بأنّ الثورة ستمرُّ بمراحلَ متعاقبةٍ، وأنّ الثورة الحقيقيّة ستبدأ بعد سقوط النظام، وإن كان بعضهم يرى أنّ هـذا الحراك في خطرٍ وقد يُوؤَد بقرارٍ دولـيٍّ، أو يُخطف بدعوةٍ إسلاميّة. كلُّ الاحتمـالات مفتوحـة، ومع ذلك لا بدَّ من أن ندرك أنّ كلّ ما حدث ليس إلا تمهيدًا لولادة ثورةٍ جديدةٍ يجب أن تكون أدواتها الفكرَ والفنَّ.

منير الشعراني
خطّاط سوريّ

مضت الأحداث في اتجاهٍ أكّد للسوريّين أنهم وحدهم في مواجهة النظام الذي حكمهم بالحديد والنار عبر تحالفٍ بين فئةٍ تحكمها الروابطُ العائليّة والمصلحيّة من جهة، وفئاتٍ فاسدة ورجعيّة من جهة ثانية. وتوضّح أنّ كلّ الأطراف تتاجر بآلامهم ودمائهم ووطنهم في صراعها للحفاظ على مصالحها ـ يتساوى في ذلك أصدقاءُ النظام و«أصدقاءُ الشعب السوريّ،» والحلفان الشرقيُّ والغربيّ، واللاعبون الإقليميّون وأشياعهم.

تعلّق الشارع السوريُّ بقشّة «المجلس الوطنيّ» لكنه أغرقهم أكثر. وفشلتْ «هيئةُ التنسيق» في الملاءمة بين أفكار أحزابها ونبض الشارع. ولم ينجح «المنبرُ الوطنيُّ الديموقراطيّ» في لمِّ الشمل. فافتقرت الثورةُ إلى قيادةٍ قادرةٍ على التفاعل معها وتوجيه نضالاتها وتوحيدها على أرضيّة مطالبها المرحليّة الجامعة الملحّة، وهي الحريّة والكرامة والوحدة الوطنيّة. لكنْ، على الرغم من ذلك، واهمٌ من يتصوّر أنّ الشعب السوريّ سيهدأ قبل إسقاط النظام، لأنه يعلم أنّ هدوءه يعني المزيدَ من الخراب والدماء. وواهمٌ من يتصوّر أنّه يستطيع ركوبَ موجة ثورته وحرْفها عن أهدافها الحقيقيّة، عبر مئاتٍ من المجنّدين إيديولوجيًّا وطائفيًّا وعنصريًّا والمرتبطين بأجنداتٍ بعيدةٍ عن طموحات السوريّين كافةً.

علينا أن نعي أنّ ما يوصل الثورة إلى أهدافها هو ضبطُ السلاح، والعملُ على توحيد التشكيلات الوطنيّة تحت قيادةٍ واحدة، ونبذُ المجموعات المذهبيّة والمرتبطة خارجيًّا والتي تقوم بممارساتٍ تحاكي ممارسات النظام وتذكي نارَ الطائفيّة التي يعمل منذ البداية على إشعالها. يضاف إلى ذلك العملُ على تصعيد الحراك المدنيّ: عبر التظاهر والاعتصام والإضراب، وصولاً إلى العصيان المدنيّ. وهذا يعني عودة المشاركة الفاعلة لجماهير الشعب السوريّ، وفرضَ إرادته ــ لا إرادة «المعارضة» المشرذمة القاصرة، ولا إرادة الكتائب العسكريّة المتنافرة الانتماءات والمصالح. وهذا كلّه يستدعي التأكيد على وحدةِ الهدف المركزيّ، وتحديد المهامّ الملحّة، وتأجيل الخلافات الجانبيّة، وتشكيل قيادة سياسيّة واعية تلبّي طموحات الناس، بعيدًا عن الاصطفافات الضيّقة، ويقع على عاتقها ترتيبُ البيت السوريّ، وصولاً إلى الأسس الكفيلة بإشراك كلّ مكوّنات النسيج الوطنيّ وقواه الحيّة في صياغة الدولة المدنيّة الديموقراطيّة.

أما عن المثقّفين، فقد انخرطوا في الثورة منذ بدايتها. شاركوا في الاحتجاج والتظاهر. كما شاركوا بعطائهم الإبداعيّ، وقدّموا عددًا من الشهداء، واعتُقل وشُرِّدَ منهم الكثيرون. لكنّ عطاءهم في غالبيّته ظلّ قاصرًا مشتّتًا، تلقي عليه الفوضى السياسيّةُ وتشرذمُ المعارضة بظلالها، وتحدُّ من انتشاره وفاعليّته الإمكاناتُ الماديّةُ المحدودة. هذا على الرغم من أنه كان ـ بحدّ ذاته ـ متنوّعًا ومبدعًا، وألقى الضوءَ على مواهبَ مقموعةٍ مغيّبةٍ، وبشّر بمستقبلٍ ثقافيٍّ غنيٍّ حرٍّ.

ما يوصل الثورة إلى أهدافها هو ضبطُ السلاح، والعملُ على توحيد التشكيلات الوطنيّة تحت قيادةٍ واحدة، ونبذُ المجموعات المذهبيّة والمرتبطة خارجيًّا والتي تقوم بممارساتٍ تحاكي ممارسات النظام وتذكي نارَ الطائفيّة.

حازم السيّد

مهندس معلوماتيّة سوريّ

مـا يجري في سوريا هو انتفاضة شعبٍ ذاق ويـلاتِ الاستبداد والفساد أربعين عامًـا، وتعرّض لكلّ صنوف التهميش والاستلاب. الواقع المرّ يكمن في أنّ هذه الانتفاضـة اندلعتْ فـي بيئةٍ بالغةِ التعقيـد، وتمكّن الاستبـدادُ من اللعب على تعقيداتها بما يضمن استمرارَه وتوسيعَ البيئة الحاضنة له، ومن خنق تعبيرات المجتمع المدنيّ كلّها. وقد أكّدت التعقيداتُ الطائفيّة والقوميّةُ والجيوسياسيّة التي اندلعتْ في ظلّها الانتفاضةُ أنّ ما يحصل هو صراعٌ بين الاستبداد والبيئةِ التـي مَفْصَلَ النظامُ مصالحَها مع مصالحه، وأعـاد ترتيب قيمها ومفاهيمها بما يخدمُ استمراره، من جهة؛ وبين شعبٍ أثبت أنه يمتلكُ الديناميكيّة والعمقَ الحضـاريَّ الكافيَيـن للاستمـرار فـي خوض هذا الصـراع، من جهـة ثانية. الانتفاضـة السوريّة «حربٌ حقيقيّة» بين أهل النظام، وأهل الحريّة والكرامة. بهذا المعنى فقط يمكن القول إنّ ما يحصل في سوريا هو «حربٌ أهليّة.»

الانتفاضة السوريّة «حربٌ حقيقيّة» بين أهل النظام، وأهل الحريّة والكرامة. بهذا المعنى فقط يمكن القول إنّ ما يحصل في سوريا هو «حربٌ أهليّة.»

مسألـة توقّـع مستقبـل سوريـا مسألةٌ صعبـةٌ جدًّا فـي ظلّ كثـرة المعطيات والمتغيّـرات. وبالعمـوم فإنّ سوريـا مفتوحةٌ امام عددٍ مـن الاحتمالات. فمع استمـرار غيـابِ إرادة تدخّل الخـارج، ستستمـرُّ حالة الصراع بيـن النظام والمعارضـة على كلّ الجبهـات: معارك لاحتلال الساحـاتِ بين المتظاهرين والقوى الأمنيّة وقطعـان «الشبّيحة،» ومعارك لاحتلال المواقع العسكريّة بين الجيـش النظاميّ و«الجيـش السوريّ الحرّ،» ومعـارك للسيطرة على اقتصاد سوريا بيـن النظام والخارج، وبيـن النظام والشرائح التجاريّـةِ والصناعيّة. وهذه المعارك قد تستغرق شهورًا طويلةً، وستتسبّب بتكلفةٍ كبيرةٍ لسوريا على المستويات كلّها.

أمّـا في حال تدخّلِ الخـارج، فهناك شكلان من التدخّـل متوقّعان: أ) حصارٌ شامـلٌ يصل إلـى حدود الحصـار السياسـيّ (انضمام روسيـا والصين إلى «أصدقـاء سورية» ونضـوج الإرادة الأميركيّة) والتهديـد بتدخّلٍ عسكريٍّ من قِبل مجلـس الأمن، يتمُّ من خلاله بدءُ المفاوضات السياسيّة من أجل تحقيق انتقـالٍ سلسٍ للسلطة؛ وهو السيناريو الأفضل لسوريا. ب) تدخّل عسكريّ من دون الحصول على شرعيّةٍ دوليّةٍ كاملةٍ عبر الالتفاف على الأمم المتحدة. في حال تحوّل الصراع السوريّ إلى خطرٍ على الأمن القوميّ للمنطقة.

سوريا حاليًّا تشهد عمليّةَ مأسسةٍ شاملة. وللمثقف دورٌ كبيرٌ في التأسيس لهذه المأسسة. ومن أهمّ ما يمكن أن يفعله هو الانخراطُ الإيجابيُّ في هذه العمليّة، وفـي جهودها، كنشوءِ رابطة الكتاب واتّحـاد الصحفيّين والنقابات الحقوقيّةِ والمؤسّسـات الإغاثيّـة. كما أنّ في مقدوره أن يسهمَ في نقـد عمليّة التأسيس هذه. ويمكن اعتبارُ «المنبر الديموقراطيّ» الذي شكّله مثقفون سوريّون بارزون حاملاً أساسيًّا لهذه الفكرة، ويمكن لتفعيل فكرته هذه أن يسهمَ في خلق حوارٍ جدّيٍّ على مستوى سوريا. وبمقدور المثقفين أن يرصدوا الانتهاكات ويدينوها، وأن يحتفوا بالإبداع الشعبيِّ وبدراسته، وأن يطوّروا النشاطات الإعلاميّة التي تقـوم بها «لجانُ التنسيـق المحليّة» على سبيل المثال. ويمكن مؤسّساتٍ كهذه أن تضيفَ إلى الانتفاضة السوريّة إضافةً نوعيّةً عبر تكثيف جهودها الإعلاميّة لاستلامِ زمام المبادرة في إعلام الانتفاضة، ونقله من إعلامٍ استهلكه خطابُ الفزعة إلى إعلامٍ وطنيٍّ جامع.

رشا عمران
شاعرة سوريّة

لا أستطيعُ النظر إلى ما يجري إلّا باعتباره ثورةً. لا أوافق شخصيًّا على تسمية الحالـة السوريّـة الآن بـ«الأزمـة» أو «الحـرب الأهليّـة» أو أيّة تسميـةٍ أخرى. وقـد أبدو متطرّفـةً إذ أقول إنّ الثـورة السوريّة قد تكون الوحيـدة بين ثورات الربيـع العربيِّ التي تستحـقُّ أن تسمّى ثورةً، وذلك لاتّساعهـا أفقيًّا وعموديًّا، ولامتلاكهـا منذ أشهرٍ هيئاتهـا الخاصّة بها، العسكريّـةَ والحقوقيّةَ والثقافيّة والفنيّة والماليّة والطبيّة والإعلاميّة، ولقدرتها على استقطابِ شرائحَ مختلفة من السوريّين الذين لا يخافون من طرح اختلافاتهم في كلِّ التفاصيل المتعلّقة بالثـورة وبآليّـة هدفِهـا الأساس (إسقـاط النظـام) وشكل الدولـة القادمة ومستقبل سوريا .

ولعل طـولَ العنف النظاميّ غير المسبوق، وتركيبـة المجتمع السوريّ، وموقع سوريـا الجيوسياسـيّ، وصمـودَ ثوارها الاستثنائـيّ، وعجزَ المجتمـع الدوليّ أو رفضـه المساهمـة فـي إسقاط النظـام، كلّ ذلك ساعد فـي تحويل الثورة إلـى حـدثٍ يوميٍّ عالميّ. علـى أنّ كلّ ذلك أيضًا ساهم فـي انقسام المجتمع السـوريّ، وظهـور أمراض الشخصيّـة السوريّة التي عانت أكثـر من خمسين عامًـا مـن الاستبـداد السياسـيّ وما يلحقـه (من دينـيٍّ وثقافـيٍّ واجتماعيٍّ واقتصاديٍّ)، الأمر الـذي سيجعل من مرحلةِ ما بعد السقوط المرحلةُ الأكثر خطـورةً وحرجًا في التاريخ السوريّ. ومع انتشار السلاح بين أيدي السوريّين، مـن ثوّارٍ و«جيشٍ حرٍّ» وكتائبَ مختلفـةٍ (منها المتطرّف ومنهـا أيضًا مجرّد قاطعـي طرقٍ ومجرميـن) ومن «شبّيحـة» وموالين للنظام ومـن باقي أفراد الجيش النظاميّ الذين لم ينشقّوا، ومع تدمير البنيةِ التحتيّة لكثيرٍ من المدن والمناطـق السوريّة، ومع العجز الاقتصاديِّ الكبير الذي وقعتْ به سوريا، ومع وجودِ آلاف الأسر المنكوبةِ وآلاف المعوّقين والأطفال المشرّدين الذين فتكتْ بهـم آلةُ التدمير الأكثر عنفًا فـي تاريخ الأنظمة الديكتاتوريّـة في العالم؛ مع كلِّ هـذا، علينـا أن نتوقّعَ دخـول سوريا في نفقٍ مظلمٍ قـد لا تخرج منه بزمنٍ قريـب. فعبارة «الأسد أو نحرق البلد» تـمَّ تطبيقُها حرفيًّا بعد أن فشل الأسدُ ونظامُـه فـي قمع ثورةٍ شعبيّـةٍ راهن الكثيـرون على فشلها؛ لكـنْ كان لشبابِ سوريا وثوّارهـا رأيٌ آخرُ وتصميمٌ كاملٌ على إكمال الطريق حتى نهايته مهما كانت التضحياتُ والثمن.

الثورة السوريّة قد تكون الـوحـيـدة بـيـن ثـورات الـربـيـع الـعـربـيِّ التي تستحقُّ أن تسمّى ثورةً، وذلـك لاتّـسـاعـها أفقيًّا وعـمـوديًّا، ولامـتـلاكـهـا مـنـذ أشـهـرٍ هيئاتها الخاصّة بها.

تتطلّـب مرحلـةُ «اليوم الثانـي» جهدَ جميـع السوريّيـن لإعادة بنـاءِ سوريا، وبنـاء مجتمعها، وبناء الشخصيّة، وبناء الهويّـة السوريّة التي استطاع إجرامُ النظام وردود الفعل عليه تدميرَها وتفتيتَها إلى مجموعةٍ من الهويّات الضيّقة والمتناحـرة، كما تبدو الآن في لحظـةِ العنف القصوى. تتطلّب المرحلة أيضًا عودةَ الجميع إلى سوريا، سياسيّين ومثقفين وكوادرَ علميّةً واقتصاديّةً وفنيّةً. فلسـوء حظِّ السوريّين أن فاتورةَ حريّتهم وكرامتهم كانت باهظةً جدًّا : تغييب عددٍ هائلٍ من خيرة شباب سوريا بالموت أو الإعاقة؛ خرابٌ نفسيٌّ عامٌّ؛ خرابٌ أخلاقيٌّ لدى فئةٍ من السوريّين. فاتورةٌ باهظةٌ علينا أن نعمل على درءِ كوارثها اللاحقـة بعهدٍ وطنيٍّ جامع، وبمصالحةٍ وطنيّةٍ تبـدأ بالمكاشفة والمصارحة بما حدث منذ خمسين عامًا إلى الآن، وبمحاسبة كلِّ من تورّط بالدم السوريِّ، سواء بالقتل المباشر أو بإعطاءِ الأوامر بالقتل والقصفِ والتدمير.

عبدالله فاضل

معتقل سياسي سابق، إجازة في
الاقتصاد، ماجستير في الترجمة

النظـام السوريّ أمّـن للشعب السـوريّ كلَّ أسباب الثـورة عليه. فالثـورة سوريّةٌ بامتيـاز جـاءت أصلاً ردًّا على واقـعٍ سوريٍّ، ولم يكن دورُ العامـل الخارجيّ فيها أكثرَ من دور الزناد الذي أطلق شرارةَ اندلاع حركةِ الاحتجاجات العربيّة.

العامل الأول في هذه المسألة هو الفسادُ الذي استشرى ونخر كاملَ أركان الدولة. فقـد ولّدتْ منظومةُ الفساد المستشريـة فرزًا اجتماعيًّا هائلًا: بين طغمةٍ اغتنت وتحكّمت في كلّ خيرات البلد، وكتلةٍ كبيرةٍ لاهثةٍ وراء لقمة العيش وأسبابِ الحياة الكريمـة. ولكي تُرسِّخَ هـذه الطغمةُ مصالحها ووجودها، عملـتْ على مستويين: نشر أخلاق الفساد ومنطقه بحيث يبدو وكأنّ هذا هو «الوضع الطبيعيّ»؛ وتعزيز الأجهزة الأمنيّة وجعل قادتها جزءًا من الطغمة ومنظومةِ الفساد. ولم يبقَ الدورُ الأمنيُّ والقمعيُّ حكرًا على أجهزة الأمن العاديّة، بل أصبح حزبُ البعث ومنظّماته الشعبيّـة ونقاباتـه تؤدّي دورًا مهمًّا في القمع، لا من خـلال التقارير المخابراتيّة التـي يكتبهـا أعضاؤها وحسـب، بل عبر الاشتـراك المباشرِ فـي عمليّاتِ القمع والاعتقـال أيضًـا؛ إذ لم يكن مصادفةً أنّ أعضاءَ اتحـاد الطلبة قد شاركوا فعليًّا فـي الاعتداء الهمجيّ على العديـد من الاعتصامات والاحتجاجـات التي حدثتْ قبل ٢٠١١/٣/١٥، ناهيك بما حدث بعد ذلك التاريخ. وبعد أن أصبحت منظومةُ الفسـاد سيّـدةَ الموقف، فُتـح البابُ واسعًـا أمام هدر الأمـوال والطاقات، لا في عمليّاتِ نهب المال العامّ فقط، بل في مشاريعَ فاشلةٍ وغير منتجةٍ كذلك. وترافق كلَّ ذلـك مـع التدمير المنهجيّ للنشاط السياسـيّ والمدنيّ، بحيث لم يعد هناك صـوتٌ سوى صـوت النظام وأتباعـه؛ وأمّا الأصـوات المعارضة فظلّـت مخنوقةً وضعيفةً رغم كلّ المحاولات الجريئة والجديّة التي جرت لتفعيل الحياة السياسيّة والخروج من حالةِ التصحّر التي أوصلتنا إليها أربعون سنةً من القمع.

بحكم موقع سوريـا الجغرافيّ وتداخلاتها الإقليميّـة وتركيبتها الاجتماعيّة، كان مـن الطبيعيّ أن تواجهَ الثورةُ السوريّة تعقيـداتٍ لم ولن تواجهها أيٌّ من الثورات العربيّـة الأخرى: تعقيد التركيبة الطائفيّة والإثنيّة، وتعقيد التداخل الإقليميّ في لبنـان وفلسطين وتركيـا والعراق وإيران، وتعقيد الصـراع العربيّ ـ الإسرائيليّ، ودور سوريا المحوريّ فيه. أضيف إلى كلّ ذلك تعقيد الصراع الدوليّ الذي تجلّى فـي إصرار روسيا على موقفهـا الداعم للنظام، ربّما محاولـة منها للدخول مرّةً أخرى قطبًا دوليًّا كبيرًا من البوّابة السوريّة.

مـن الواضـح أنّ الخيار الأمنيّ العسكريّ الباهظ الثمـن الذي اختاره النظام هو خيـارٌ إستراتيجيٌّ لـن يتراجع عنه. ومـن الواضح أيضًا أنّ الخيـار الذي اختاره الشـارعُ الثائر في إسقاط النظام هو خيارٌ إستراتيجيٌّ لن يتراجع عنه. أمام كلّ هـذه التعقيدات وعجز المجتمـع الدوليّ عن أخذ موقفٍ حاسـم ضدَّ النظام، أو معـه، أرجّح أن يستمرَّ الوضع على ما هو عليـه، ولأجلٍ غير مسمًّى، ما لم يحدث تغيّـرٌ دراماتيكيٌّ نوعيٌّ في المعادلة لا يمكن التكهّنُ به حاليًّا. وهذا سيعني ضعف النظام، ولكنْ ليس إلى درجة السقوط على يد المعارضةِ المدنيّة والمسلّحة معًا. وسيعنـي أيضًا قـوّة «الجيش الحرّ،» ولكـنْ ليس إلى درجةِ القـدرة على إسقاطِ النظام. وسيعنـي أخيرًا ظهورَ لاعبين محليّين صغار يعمل كلٌّ منهم وفق أجندته الخاصّة.

أرجّح أن يستمرَّ الوضع على ما هو عليه. وهذا سيعني ضعف النظام، ولكنْ ليس إلى درجة السقوط على يد المعارضة المدنيّة والمسلّحة معًا. وسيعني أيضًا قوّة «الجيش الحرّ»، ولكنْ ليس إلى درجةِ القدرة على إسقاطِ النظام.

دمشق